المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعـة سيدي بلـعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلـد 14 -- العدد 01 -- جويلية 2022 ص 121 - 141

كتابات الجزائريين في الصحف التونسية (1906-1949)

The Algerian writings in the Tunisian newspapers (1906-1949)

لوافي سومية – أستاذة محاضرة أ (louafisoumia22@gmail.com)	تاريخ حديث ومعاصر	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة سيدي بلعباس /الجزائر

DOI :

الإرسال: 2022/03/19 **القبول**: 2022/05/06 **النشر**: 2022/07/01

ملخص:

إن من أكثر الجوانب التي برع فيها الجزائريون بتونس هي الصحافة، حيث صار لبعضهم أعمدة خاصة على صفحات الجرائد يتقدمون فيها بشكواهم ويطرحون قضاياهم وهمومهم، وبذلك عرف القراء الكثير منهم حتى صاروا مألوفين، خصوصا مع جرأتهم في طرح بعض القضايا الحساسة التي كانت تثير حفيظة المستعمر، ولعل الدافع الأكبر الذي جعل هؤلاء يكتبون في الصحافة التونسية أنها كانت تلقى نوعا من الحرية مقابل قيود ومصادرة تارة اخرى، فالمعروف أن الاحتلال لم يعامل الصحافة في تونس والجزائر بنفس الكيفية، فقد كان التضييق وشد القبضة هو السائد في الجزائر ومثال على ذلك نجد جريدة "العصر الجديد" التي كان يراسلها الطيبي العقبي، والتي كانت تصدر في مدينة صفاقس جنوب تونس سنة 1922، وهي رسائل لم تنطو على موضوعات وقضايا سياسية إلا أنها كانت تقدم صورة يومية على الاوضاع الاجتماعية والسياسية.

كلمات مفتاحية: الصحافة التونسية؛ الكتاب الجزائريين؛ جريدة الاصلاح؛ جريدة العصر الجديد

Abstract:

From the most field in which the Algerians excelled in Tunisia was the media, so some of them had special pillars on the newspapers pages on which they claim their problems and expose their issues, and from that the readers know them, so that they became familiar especially with their challenge in exposing some sensible cases which bothered the colonial state, and perhaps the biggest purpose which made them write in the Tunisian newspapers, because it found a kind of freedom on one hand and limits and confrontations on the other, what was known is that the occupiers did not deal with the media in Tunisia and in Algeria in the same way, so the restriction and the close control were prominent in Algeria, and here we can give examples to clarify that. Newspaper "Alasr Eldjadid" which "Tayeb Elogbi" corresponded and which was published in Sfakes town, south Tunisia 1922, letters which did not include political subjects and issues, but presented a daily image about the political and social conditions.

المؤلف المراسل: لوافي سومية **البريد الإلكتروني**: louafisoumia22@gmail.com

Keywords : the Tunisian newspapers; Algerian writers; Newspaper "Alislah"; Newspaper "Alasr Eldjadid"

مقدمة:

كان النشاط لصحفي متوارثا بين الأجيال، تفرد فيه كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها، فكان بذلك نشاطا وطنيا متنوع الأساليب والأهداف عازم الحماس لبلوغ الغاية التي رسمها الأولون الذين استهلوا صفحة هذا النشاط في ظروف جد صعبة.

مثلما ساهم في توسيع دائرة هذا النشاط نخبة من الجزائريين خارج وطنهم بأفكارهم وآرائهم، فقد ساهم في تزكيته ومتابعته بحرص فلول الطلبة بأنفسهم وبأقلامهم معا فوجدوا في تلك اللبنات التي وضعها الكاتبان عمر بن قدور، منطلقا مكينا للاندفاع نحو بلورة هذا النشاط. (النويهض، 1980)

فكانت لهم إسهامات فكرية رائعة تجسدت في مقالات ثورية نشرت على صفحات الجرائد العربية، بهدف شد أزر الثورة ورفع صداها عاليا والتعريف بها في مختلف المحافل، والإعلان عن حقيقة وجودها، وإبراز الكيان الوطني الجزائري بمقوماته الإسلامية العربية ونفي أي صلة له بالحضارة الغربية الفرنسية.

وإذا أمعنا النظر فإننا نجد بان الثورة الجزائرية كانت واحدة من تلك الثورات التي مهد لها الكتاب بنشاطاتهم الحثيثة، كما كانت من بين أهم الثورات التي استشهد فيها الكتاب والمؤلفون والشعراء الجزائريون على يد المستعمر حين أبوا أن يصمتوا وأشهروا أقلامهم في وجه المستعمر أمثال أحمد رضا حوحو، العربي التبسي والربيع بوشامة، ومولود فرعون... وغيرهم كثيرون.

ويضاف إلى الشهداء الذين سقطوا برصاص المستعمر، شهداء آخرين كان استشهادهم أشد إيلاما حين أجبروا على قبول الموت وهم أحياء بسبب آرائهم المناوئة للاستعمار، فكان استشهاد عمر بن قدور بطوليا، وكذلك عمر راسم، وإبراهيم اطفيش، ومن كان على نفس حالهم ممن هاجروا بأنفسهم وآرائهم، فلقوا أصنافا من العذاب، بعدما كان المستعمر يترقب نشاطهم الفكري والثوري، ويترقب خطره الجسيم، وإن تباعدت مواطن النشر، سواء كانت بالصحف الجزائرية أو بالصحف العربية. (الجابري، 1983، صفحة 220)

ومقابل هذا الحصار بذل الكتاب الجزائريون جهودا مضنية وصادقة لمجاهرة الاستعمار بآرائهم وجندوا أقلامهم لما يلي:

- التعريف بواقع الشعب الجزائري المتطلع لنيل حريته المسلوبة.
- الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام والعروبة، وأن الجزائري عربي مسلم لا يمكن أن يقبل يوما فكرة الإدماج التي يسعى المستعمر جاهدا لتحقيقها على أرض الواقع.
- محاربة الظلم ونصرة الحق، وإعلاء صوت الجزائر خارج الحدود الجغرافية للوطن وتوسيع نطاق المناوشات، وجعلها جبهة عريضة تمتد من القاهرة إلى تونس.
- إحراج المستعمر بتكثيف الكتابات الهادفة إلى إحراج المستعمر بالتطرق إلى الموضوعات التي كان يتستر عنها ويتجاهل إدراك الجزائري لها، خاصة التي كانت تنشر على صفحات الجرائد التونسية بهدف إطلاع العالم العربي عليها، والرأي العام التونسي بالذات لما لذلك من انعكاس على نفوس التونسيين خاصة الذين كانوا يعتبرون ما يسلط على إخوانهم الجزائريين من قوانين جائرة إنما يتضمن تهديدا مباشرا لهم. (الجابري، 1983، صفحة 220)

أولا: تصدر كتابات عمر بن قدور وعمر راسم الجرائد التونسية مستهل القرن العشرين:

كان من أبرز كتاب هذا العقد علي بوشوشة، الذي تصدرت كتاباته جريدة (الحاضرة) التونسية، ومن بين المقالات الهامة التي نشرتها له هذه الجريدة هي (فرنسا والإسلام) و(أخطار البذاءة)، و(وجوب الاحتياط)، إضافة إلى العديد من المقالات التي بينت سعة ثقافته وقوة بيانه، (الفاسي، 1948، صفحة 48) وإلى جانبه عمر بن قدور الذي قام الوالي العام على الجزائر شارل جونار سنة 1906 بإبلاغه عن استياء السلطات الاستعمارية من مقالاته التي كانت تنشرها جريدة اللواء المصرية، وأمره بالكف عن مراسلة هذه الجريدة. انقطع عمر بن قدور عن الكتابة ليعود في سنة 1908 مجدداً لنشر مقالاته على الجرائد التونسية.

وكان عمر راسم من أوائل الكتاب الذين قاموا بنشر مقالاتهم بهذه الجرائد وكان أول مقال نشرته له جريدة (التقدم) الصادرة بتاريخ 26 ديسمبر 1907 تحت عنوان (رأي حر)، عبارة عن رسالة جريئة موجهة إلى رئيس وزراء فرنسا ووزير حربيتها، وظل راسم ينشر رسائله ومقالاته في جريدة التقدم ثم (مرشد الأمة) ثم جريدة (الحاضرة) ثم جريدة (المشير).

ولعل مناسبة صدور مثل جريدة التقدم، وأمثالها من الجرائد التونسية هي التي أثارت في نفس عمر بن قدور الحماس والرغبة في أن تصبح الجزائر مثل شقيقاتها العربيات، بصحافتها الوطنية التي تخاطب القراء بصورة مباشرة وتتيح للكاتب الجزائري شجاعة لتحمل مسؤولياته الوطنية، حيث نجد عمر بن قدور في إحدى مقالاته يصرخ مخاطبا شعبه ومنبها لدور الصحافة الوطنية في الإرشاد قائلاً: ما لمصر تقدمت، ما لتونس تيقظت، ما لسائر بلاد الإسلام تفقهت ورجال الجزائر الذين عليهم اعتماد الأمة في سبات عميق، لا صحافة ترشدهم إلا ورقة (كوكب إفريقيا)، التي جاء بها أحد الفرنسيين، وباليتها لم تصدر، لأنها لا تزيد بها هوة التنافر إلا اتساعا. (الجابري، 1983، صفحة 220)

وعليه، فقد سخر الكاتبان أقلامهما في سبيل خدمة القضية الجزائرية، ولكسب تعاطف أكثر من الدول العربية، وكانت الاستجابة من الشعب التونسي الشقيق الذي تجاوبت صحافته في وجه الكتاب الجزائريين فكان الجسر الأول من جسور الامتزاج الفكري والتوافق السياسي ووحدة النضال ضد المستعمر.

ونظرا لتأثير بن قدور الكبير، ورواج كتاباته في تونس فإن خبر نعيه قد تلقفته الصحافة التونسية بحزن غامر، فهذا الشيخ الطيب بن عيسى صاحب جريدتي (المشير) و(الوزير) ينعي صاحبه قائلا: "فالفقيد قطب من أقطاب الشمال الإفريقي عرفناه بالمكاتبة، قابلناه مرتين بتونس ومرة بالجزائر وموته خسارة لا تعوض" (الجابري، 1983، صفحة 167).

كما ورد أيضا في مقدمة الجريدة ذاتها تحت عنوان: "وفاة رصيف كبير "... الفقيد بقلبه وبلسانه وبعلمه الغزير ونصحه الوفير، مع الإخلاص التام والانقطاع لخدمة الصالح العام... ولا أدل على ذلك من تضحياته في سبيل إعزاز أمته، تلك التضحيات التي كانت سببا في إبعاده عن العاصمة إلى مدينة الأغواط إداريا، وسيره نحو الأربعمائة كيلومترا على قدميه حتى انتفختا وجرحتا جروحا بليغة، حسب التعليمات التي صدرت في هذا الشأن من طرف الحكومة، ثم مكوثه مدة طويلة في منفاه أثناء الحرب العالمية الأولى، ولم يقع الإفراج عنه إلا بعد أن كابد أعظم المشاق، وقاس مرارة الفاقة والاحتياج" (الجابري، 1983، صفحة 167).

لقد كانت مساهمة الكاتبين عمر راسم وعمر بن قدور في النشاط الصحفي الزاخر في هذه الحقبة دليلا واضحا على ما كانت تحظى به الصحف التونسية من صدى طيب ورواج محمود بين الجمهور. (المدني، حياة كفاح، 1977، صفحة 53).

فقد لعبت الصحافة التونسية دورا كبيرا في تسريب الأفكار الإصلاحية، وفي عبور الصحف المشرقية والعربية، وما وفره هذا المناخ الفكري والثقافي من الحرية للكتاب الجزائريين، مما أدى بالمؤرخ أبي القاسم سعد الله أن يصف تونس في هذه الحقبة المبكرة في مطلع القرن بأنها كانت من أهم القناطر التي عبرت عليها القومية الإسلامية، وكانت طريقا قدمت من خلاله الدعاية المضادة لفرنسا التي تسربت إلى الجزائر في شكل جرائد وكتب ومنشورات (أبو القاسم، الحركة الوطنية، 1992، صفحة 137).

لقد أفرزت العشرينات الطلائع الأولى من طلبة البعثة الذين تعلموا بالزيتونة وأخذوا يلتمسون الطريق للمشاركة في الحياة الفكرية بإنتاجهم الأدبي، وهو الجيل الذي دفع به العلامة والمصلح الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس ليكون وريثا لتلك الإرهاصات التي بذرها الصحفيون الجزائريون الرواد والذين كان في مقدمتهم الكاتبان عمر راسم، وعمر بن قدور.

كان هذا الجيل قد تشبع بالآراء الإصلاحية بما أخذ من حلقات الشيخ بن باديس وما خاضه من مناقشات بينه وبين أساتذة الجامع الأعظم حول معركة القديم والجديد، من خلال ما استخلصه من أفكار طلبته التي كانت في مجملها تهدف إلى البحث عن طريق، لتطوير المؤسسات التعليمية، وقتئذ وخاصة منها الزيتونة بما يتماشى وروح العصر، والتطلعات الجديدة، ليؤدي هذا المعهد المعمور دورا كاملا في حركة النضال الوطني (الجابري، 1983، صفحة 187).

ثانيا: الكتابات السياسية للجزائريين في الصحافة التونسية:

وإزاء هذه الطلائع التي برزت مساهمتها خلال هذه المرحلة بشكل متألق خصوصا في المجال الأدبي، ظهور التيار السياسي الجديد الذي يتشكل في معظمه من العناصر الجزائرية الوافدة على تونس للدراسة أو المقيمة بها منذ فترات من الزمن، وقد شد هؤلاء من أزر الحزب الدستوري التونسي الذي توافق ظهوره في سنة 1920م مع عودة الصحافة إلى سالف نشاطها، فكانت لهؤلاء مساهمة نشيطة في المجالين الحزبي السياسي والصحفي الوطني.

وأول ما تجدر الإشارة إليه بهذا الخصوص هو تعدد هذه المشاركات وتنوعها وارتباط أصحابها بصحف معينة، إذ كثيرا ما لاحظنا اقتصار الكاتب الجزائري على التحرير في صحيفة واحدة دون غيرها، إما بحكم العلاقة الخاصة التي تربط هذا الكاتب بأحد محرري هذه الجريدة مثلما نلمس ذلك من خلال الصداقة الوطيدة التي كانت بين حمزة بكوشة، ومحمود بورقيبة محرر الركن الأدبي لجريدة (الوزير) الأمر الذي جعل بكوشة ينشر جل كتاباته بهذه الجريدة.

وهو الحال ذاته بالنسبة للكاتب السعيد الزاهري الذي تبنت جريدة (النهضة) جل كتاباته وتم نشرها كلها طيلة السنوات الثلاث 1923م-1924م-1925م وظل يثابر على مراسلتها حتى بعد تخرجه من الزيتونة وعودته إلى الجزائر بما يتوفر له من الأخبار الهامة عن الوضع الداخلي ببلاده.

كان الدافع الوطني هو السبب الأساسي في جعل بعض الكتاب الجزائريين يساندون الصحف ذات النزعة الوطنية أو الحزبية الدستورية، ومساهمة مباشرة منهم في إثراء الحركة الوطنية وتأييدا علنيا للمواقف التي يقفها الوطنيون التونسيون، وقد فعل هذا معظم الكتاب الجزائريين، أمثال الشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى الذي نشر معظم مقالاته وقصائده ورسائله السياسية العديدة عن الوضع في جنوب الجزائر في جريدة (المنير)، ذات الاتجاه الوطني، ومحمد العيد الجباري الشاعر الجزائري المناضل والثائر الوطني الذي تميز نضاله بالعناء والصمود، فكان شعره وكتاباته مدادا ثوريا، تتباهى بنشره جريدة (العمل) التونسية.

وكذلك الكاتب والشاعر محمد العربي الذي ترأس تحرير جريدة صبرة التي كانت سببا في إدخاله السجن سنة 1938م (الجابري، 1983، صفحة 191).

وسار على نهجه الشاعر محمد الأخضر السائحي، الذي نشر معظم مقالاته في جريدة (العمل) و(الواجهة) و(البوق)، و(الزمان) بين سنوات 1936م، 1937م، 1938م.

أما الأستاذ أحمد توفيق المدني، عرف بنشاطه الواسع على الصعيدين السياسي والأدبي، ولعضويته البارزة في الحزب الدستوري التونسي، نجد معظم أعماله التي كتبها منذ سنة 1920م وإلى غاية 1935م قد تصدرت معظم المجلات والصحف الحزبية الدستورية، أو الصحف المتعاطفة مع الدستوريين، كان أهمها (الفجر)، و(العرب)،

و(تقويم المنصور)، التي صدرت أعدادها الأولى بتونس قبل أن تنقل معه إلى الجزائر، و(الوزير)، وجريدة (النديم)، و(الأمة) و(الاتحاد) و(الإرادة).

ثالثا: طباعة الصحف الجزائرية بتونس وتعنت الإدارة الاستعمارية:

لم تجد الصحف التونسية بتلك المبادرات التي نهض بها بعض الجزائريين عند إقدامهم على الاستفادة من الظروف الخاصة برواج المنشورات، وطباعتها بتونس وفقا للقانون الصادر في شهر فيفري 1920م، والذي يعطي الصحافة حرية الطباعة والرواج، فأقدموا على إنشاء صحف جزائرية للمساهمة في الحركة الوطنية جنوب البلاد، وقرروا أن تكون إدارتها بالجزائر، على أن يسند الإشراف على طباعة موادها إلى وكيل تونسي.

ونظرا لتوفر الصيغة القانونية لهذا الإجراء فإن السلطة لم يكن بإمكانها الممانعة في تطبيق القانون، ولكنها تفطنت لما سوف ينجر عن ذلك من تبعات سياسية حيث يمكن لهذه الصحف الجزائرية أن تستفيد من الأوضاع الخاصة بقوانين المطبوعات واختلافها بين البلدين، فتعامل معاملة الصحف الأجنبية عند طباعتها بتونس، ثم عند ترويجها بالجزائر. ويبدو أن السلطة الاستعمارية أحست بهذا الخلل الواضح، وبأنها ارتكبت خطأ فادحا بمصادقتها على رخصة تتعلق بطباعة جريدة (وادي ميزاب)، إلا أنها تماطلت ولذلك فبمجرد أن تقدم مصطفى بن شعبان، وكيل جريدة (الإصلاح)، ورغم استيفائه كل الوثائق القانونية المطلوبة، عندئذ لم تجد جريدة (الوزير) مناصا من إثارة هذا الموضوع ونشرته على صفحاتها الصادرة بتاريخ 1 نوفمبر 1927م، ووضحت الأسباب الخفية التي تجعل السلطة تصر على هذه المماطلة، وفيما يلي مقتطف مما جاء في بيانها: «... إلى الآن وبعد الآن، ورصيفنا مصطفى بن شعبان بصفته وكيلا مفوضا يراجع إدارة المحافظة في شأن طبع الجريدة بالمطابع التونسية ولكنها لم تأذن، ولا تزال تمهله إلى ورود الإذن الرسمي من طرف السفارة الفرنسوية" تقول المحافظة أن الامتياز الجزائري صحيح، وإن توكيلك ثابت، وإن إذن المطبعة التونسية محقق ولكن هنالك ملاحظة أتتنا عن طريق السفارة العامة بتونس، تقتضي إمهال الإذن بالطبع إلا أن تتحقق الحكومة المحلية الاضطرار التام لطبع الصحف العربية بتونس، بدل الجزائر لفقدان المطابع هناك (الجابري، 1983، الصفحات 192-193).

وتورد الجريدة رأي السفارة الفرنسية في الموضوع وهو رأي ينم عن الشعور بالخوف من هذا الزحف الصحفي الذي من شأنه أن يجعل حركة التبادل بين الأقطار المجاورة

أكثر يسرا بفضل انتشار الأخبار عبرها، وتقارب بين وجهات نظر المثقفين ورجال الفكر من كلا القطرين، ويساهمون بكتاباتهم هنا وهناك في تنشيط وبعث اللغة العربية التي أوشكت أن تحل محلها لغة المستعمر، كما هو تخوف من كثرة الصحف الجزائرية التي ربما تقوم يوما آخر مقام الصحف التونسية المعطلة، وتحل محلها فتنهض بالأمتين التونسية والجزائرية معا...

وتواصل الجريدة في إبداء رأيها «... وهذا النهوض هو ضد مشروع التعطيل لمعظم الجرائد التونسية، ومنع صحف جديدة مهما بلغت تعهدات أصحابها بملازمة جانب اللين السياسي أو الحياد التام، والاستقلال بالمواضيع الأدبية والأخلاقية وإضرابها، ونحن لا نزال نحتج على هذه الصرامة المستعملة ضد الحركة الفكرية الآخذة في الانتشار بالشمال الإفريقي.

ولم يكن هذا الموضوع الذي نشرته الجريدة هو الدفاع الأول من نوعه عن حرية الصحافة الجزائرية وعن جريدة (الإصلاح) بالذات بل كان قد سبق وأن نشرت جريدة الوزير قبل شهرين تأسفها لما صدر عن السلطات الاستعمارية لمنع طباعة جريدة (الإصلاح) بالمطابع التونسية، فكتبت تحت عنوان (الصحف الجزائرية والمطابع التونسية) إن السلطة تهدف إلى القضاء على التفكير، وتعمل على كبت حرية النشر، بل وحرية التجارة واكتساب القوت اليومي بالنسبة لأصحاب المطابع الذين يحرمون موارد جديدة... إن ما تمسكت به إدارة المحافظة يعني الرفض لا يكون مبررا أبدا لهذه المعاملة... وحرمان المطابع التونسية من التعامل مع الجزائريين هو مناقض للقوانين التي تدعو إلى توسيع نطاق المعاملات والمبادلات بين القطرين الذين يخضعان لأوضاع استعمارية واحدة، لأنه لا يعد من قبيل الإنصاف، ولا من المنطق منع أرباب الصحف الجزائرية من طبع جرائدهم بتونس بحجة أنه توجد مطابع ببلادهم.

ويبدو أن الضغط الذي مارسته الصحافة في شتى المناسبات وبإصرار كان بسبب الاضطهاد الذي لحق الصحافة الوطنية الجزائرية، وبسبب المضايقة التي شعرت بها السلطات الاستعمارية عند صدور العدد الأول من جريدة الإصلاح، لكنها إمعانا في كبت الحريات لم تمنح إذنا بالطبع للعدد الثاني الذي لم يظهر إلا سنة 1929م بعد تأسيس الشيخ الطيب العقبي مطبعة بدائية لاستئناف صدور جريدته. (الجابري، 1983، الصفحات 199-201).

والواقع لئن كان موقف السلطة الاستعمارية عجيبا في جبروته، فإنّ الأعجب منه هو إصرار الصحفيين الجزائريين الوطنيين الذين اتسم موقفهم بالمقاومة المستمرة والتحدي الصامد فقد آمنوا إيمانا ثابتا بجدوى الصحافة في إيقاظ الأمة ولدورها الفعال في بث الوعي بين صفوفها، لذلك لم يستسلموا قط لهذه المعاملة القاسية، فقابلوا جبروت المستعمر وتعسفه بالحكمة وضبط النفس حينا وبالحيلة والمناورة حينا آخر فما أن تصادر السلطة جريدة عربية حتى يسارعوا إلى إصدارها بطريقة أخرى فقد يكون اسم مختلفا ولكن المسمى واحد، ويديرها المدير الملاحق نفسه، والأسرة المنكوبة عينها، بل ولربما عادت بلهجة أشد وأقسى.

وتعد مأساة جرائد أبي اليقظان الثمانية التي تساقطت مستشهدة واحدة تلو الأخرى في مدة لا تزيد عن ثلاث عشرة سنة من أروع أمثلة الجهاد الصحفي في الجزائر، وآية من آيات المقاومة والتصدي.

ومما يوضح لنا هذه الروح الصامدة عند الجزائريين هو حزمهم المستمر في كل المناسبات على المطالبة بحرية الصحافة (ناصر، 1980، صفحة 56)، فلا يكاد يجد الباحث بيانا أو عريضة أو مطلبا قدم إلى السلطة الحاكمة أو إلى لجان البحث البرلمانية يخلو من المطالبة والتأكيد على حرية الصحافة العربية خاصة والصحافة الوطنية عامة.

كما يؤكد هذا الإيمان الثابت بروز الصحف العربية ولا سيما في الفترات التاريخية التي استيقظ فيها الوعي الوطني والإصلاحي، ونضرب لذلك مثلا الفترة التي تلت سنة 1925م، حيث برزت حوالي عشر جرائد على الرغم من أن الفترة الممتدة ما بين 1927م-1931م عرفت واليا حاقدا يدعى بيار بورد، على الصحافة الوطنية والكتاب الجزائريين.

كما أن الفترة الممتدة بين 1931م- 1939م وحدها شهدت ميلاد حوالي ثلاثين جريدة عربية بغض النظر عن اختلاف اتجاهاتها ونزعاتها، ولو أن أغلبها إصلاحي وطني، ولكي نفهم هذا التوالد العجيب والاستمرار المتواصل على الرغم من تضييق السلطات الاستعمارية، إلا أنه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار تلك النزعة العامة للرأي الإسلامي العام في الجزائر في العشرينات، ثم بعد سنة 1937م السنة التي ظهرت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فبينما كانت الحكومة الاستعمارية تلح على ضرورة الغزو الفكري للمسلمين الجزائريين، وتسعى لتتويج هذه الخطة بالاحتفال المئوي للاحتلال الفرنسي، وبينما كان المثقفون الجزائريون ثقافة فرنسية ممن عرفوا بنزعتهم الغربية يمتدحون

التشبه بالأوروبيين، ويعجبون بالحضارة الغربية اندماجا وتجنسا، كان المصلحون ومن يعاضدهم في أفكارهم من الوطنيين المخلصين مجندين جسدا وروحا لمقاومة هذه الانحرافات المتخلفة، وكان طبيعيا أن تكون الصحافة من أجل كل ذلك هي الوسيلة المفضلة التي يتصلون بها بالجماهير العريضة، رغم العقبات الفنية منها ندرة الطباعة العربية وقلتها، فإنه حتى سنة 1930 كان لا يوجد بالجزائر كلها سوى خمس مطابع عربية فقط (المدني، كتاب الجزائر، 1931، صفحة 372)، مما دفع بعض أصحاب الصحف التي تحمل المشاق العظيمة في هذا السبيل وهي تضحيات تدعو إلى الإعجاب والتقدير.

فإن عمر راسم، كان يقوم وحده بأعباء جريدة (ذو الفقار) تحريرا ونسخا ورسما وطبعا ثم توزيعا ونشرا، وكذلك كان عمر بن قدور الجزائري صاحب (الفاروق)، وعندما أصدر أبو اليقظان جريدته (وادي ميزاب) بالعاصمة سنة 1926م اضطر إلى أن يبعث بأصولها وموادها لتطبع بتونس أسبوعيا، واستمر الحال مدة سنتين وأربعة أشهر، وسلك الطيب العقبي المسلك نفسه عند إصدار جريدته (الإصلاح) سنة 1927م ببسكرة، وكذلك كانت (صدى الصحراء) يحررها أحمد بن العابد العقبي والطيب العقبي ومحمد العيد الجباري ببسكرة، ويطبعونها بمدينة قسنطينة ثم تعود في الأكياس مع القطار لتوزع من جديد على مشتركيها هنا وهناك (ناصر، 1980، صفحة 18)، تلك هي الظروف القاسية التي أحاطت بالجريدة العربية منذ نشأتها، ولكن العوامل التي دفعت بأصحابها إلى المغامرة والتضحية كانت أشد وأقوى.

فقد رأت الصحف التونسية في صدور جريدة وادي ميزاب – رغم طباعتها بتونس- حدثا من الأحداث العامة التي يدعم تضامن الصحافة الوطنية الجزائرية، ويساعدها على رفع الصوت الخافت الذي فرض الاستعمار دونه حصارا ضاربا، وقد علقت جريدة النهضة الصادرة بتاريخ 24 أكتوبر 1926م على صدور العدد الأول منها قائلة في ابتهاج وثناء: إذ لما تصفحناها ألفيناها مؤسسة لغايات نبيلة جدا، ومحررة بأقلام عربية عالية، وجامعة لما يهم الصالح الإسلامي الاطلاع عليه، من فصول سياسية، واقتصادية، ووطنية واجتماعية. وبالجملة فالجريدة سدت فراغا محسوسا في صحافة الجزائر بحيث إذ تضامنت تلك الصحف الوطنية كما تتحققه على خدمة وطنها وعلاء شأنه، فلا شك أنه سيبلغ صدى صوته بعد أن كان خافتا (الجابري، 1983، صفحة 204).

ومن ثمة نطالع عددا وافرا من المقالات التي تزدان بها هذه الصحف، وخاصة صحف (الإصلاح)، و(وادي ميزاب) و(صدى الصحراء) التي ساهم في تحريرها نخبة من الكتاب والشعراء التونسيين أمثال صالح سوسي القيرواني، ومحمد الفائز القيرواني، وجلال الدين النقاش، الذين نشروا قصائدهم في جريدة (صدى الصحراء) خلال سنتي 1925م- 1926م، وكذلك عثمان الكعاك، ومحمود بورقيبة اللذان كتبا الدراسات ونشرا القصائد بجريدة (وادي ميزاب) سنة 1927م، كما ساهم محمد المهدي الناصر في الافتتاحيات السياسية لجريدة (الإصلاح) سنة 1947م، إلى جانب عدد آخر من الكتاب والشعراء الذين كتبوا في الجرائد التي نشرتها جمعية العلماء كـ(الشهاب)، و(البصائر).

ولم يكتف هؤلاء بالمشاركة، والدعم وشد الأزر، بل راحوا يقدمون النصائح وثمرات الخبرة، ويزودون القائمين على هذه الصحف بزاد من تجارب العمل، وعمل السنين ونضال الحياة.

رابعا: كتابات مفدي زكريا بالصحف التونسية سنوات الثلاثينات:

يتصدر هذه الفترة الشاعر الزيتوني الجزائري الكبير مفدي زكريا، والذي كان ولوجه عالم الصحافة كمبادرة أولى، فقد تميزت كتاباته الصحفية بطابعها الثوري وحماسها الفياض ولهجتها المباشرة موجهة إلى الشعب والجماهير وطافحة بالتهكم والسخرية اللاذعة موجهة إلى قوى الاستعمار، وقد غلب على كتابات مفدي زكريا المقال الصحفي الذي غلب عليه بلاغة طابع التحريفي، وقد أسس جمعية الوفاق الأدبية التي أصدرت صحيفتها في الفترة ما بين 1925م- 1930م في تونس، ورغم اهتماماته الوطنية الكثيرة، فقد ظل مراسلا وفيا للعديد من الصحف والمجلات التونسية، وغالبا ما كان يمضي مقالاته بأسماء مستعارة مثل (الفتى الوطني)، (أبو فراس) و(ابن سليمان) (الجابري، 1983، صفحة 214) ، وقد تحدث في كتابه (تاريخ الصحافة العربية في الجزائر) عن الخلاف الذي وقع بين علماء وادي ميزاب من محافظين وتقدميين حول مسألة إرسال بعثة طلابية من شباب المنطقة للدراسة في تونس، خلال تحدثه عن أسباب صدور صحيفة وادي ميزاب لمؤسسها الشيخ أبو اليقظان والتي نجملها فيما يلي: محاربة الإدارة الاستعمارية لبعثات التعليم التي كانت تتقاطر من ميزاب على تونس، كانت تتوزع على مدارسها الأهلية القرآنية وعلى جامع الزيتونة خاصة، وقد اعتمدت الحكومة في هذه المعركة كعادتها على طائفة من الرجعيين المتجنسين اتخذتهم أبواقا لدعايتها المغرضة في

مساجد الميزابيين بالخطر الذي يتهدد مذهبهم وعوائدهم إذا سمحوا لأبنائهم أن يتعلموا بتونس في مدارس المخالفين، وقد احتدمت المعركة واندلع لهيبها بين الطرفين فلم تقتصر على الحملات الصحفية بل اجتازتها إلى تأليف الكتب ونشرها فألف الرجعيون كتاب (كشف اللثام عن أغراض بعض اللئام)، ورد عليه أنصار الفكرة التقدمية الإصلاحية بكتاب إرشاد الحاشرين لصاحبه أبي اليقظان، ودخل المعركة الزعيم الوطني الدستوري الشيخ صالح بن يحي فكتب عدة مقالات هاجم بها الانهزاميين بجريدتي (لسان الشعب) و(الصواب)، وهذه المقالات كانت حافزا لصدور كتاب (البراهين) (زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، 2003، صفحة 167) العاصفة فرد عليه الشيخ إبراهيم اطفيش الذي كان في تلك الفترة بالقاهرة، بتأليف كتاب (الدعاية إلى سبيل المؤمنين) وكان إصدار جريدة (وادي ميزاب) كتوقيع للفوز الذي أحرزه التقدميون على خصومهم (زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، 2003، صفحة 167).

وكان ثاني قصيد نظمه الشاعر مفدي زكريا بعد قصيده المنشور في جريدة (لسان الشعب) (زكريا، إلى الريفيين، 1925) هو قصيد (نهوضا بني إفريقيا من سباتكم) (زكريا، نهوضا بني افريقيا من سباتكم، 1932، صفحة 16)، التي تصدرت صفحات (النشرة الثانية لطلبة شمال إفريقيا)، ثم تلتها قصيدة (أحيي الظرف والأدبا) (زكريا، أحيي الظرف والأدبا، 1923، صفحة 139) وقصيدة (الوداع أمام القطار). وإلى جانبه نجد الكاتب أحمد توفيق المدني، فنظرا إلى تعدد نشاطه ووفرته من جهة، ولعلاقته الخاصة برجال الصحافة، وعضويته في الحزب الدستوري التونسي من جهة أخرى، فإن كتاباته وإنتاجه الخصيب المنشور فيما بين سنتي 1920م-1935م شمل معظم المجلات والصحف الوطنية، وخصوصا منها الصحف الحزبية الدستورية.

حيث قام بنشر إنتاجه المتعدد الأنماط والفنون من شعر، ومقالات أدبية وسياسية في كل من مجلة (الفجر)، و(العرب)، و(تقويم المنصور)، وصحف (الوزير)، و(النديم) و(الأمة) و(العصر الجديد)، و(الاتحاد)، و(الإرادة) (الجابري، 1983، الصفحات 192-193)

خامسا: كتابات الجزائريين في الصحف التونسية مطلع الأربعينات:

لقد شهدت إسهامات الطلبة الجزائريين الأدبية والصحفية والسياسية بتونس بداية الأربعينات ركودا كبيرا مقارنة بسنوات الثلاثينات والعشرينات من نفس القرن، ولم

نعرف السبب في ذلك، فرحنا نعلل هذا إلى أن السنوات الأولى من العقد الرابع لم تسجل توافد كبير للطلبة الجزائريين بتونس إلا بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد تضاعف حجم البعثة العلمية بعد هذه الحرب، ونمو الوعي السياسي ودخول الكفاح الجزائري ضد المستعمر الفرنسي طورا جديدا من المجابهة المباشرة، وكان في مقدمة أولئك القلة من الطلبة الجزائريين الزيتونيين محمد العربي الذي قام بمجهود عظيم ساهم في إثراء الصحافة التونسية، وتعدت كتاباته ومساهماته الأدبية إلى المحاولة في التفرد بإصدار وكتابة جريدة (الزمان) بمفرده سنة 1940-1941، إثباتا لكفاءته وتعبيرا عن مقدرته، وبعدها تعامل مع المجلات والصحف اليومية والأسبوعية التي كان بها رواج في زمانه، ومن الصدف الغريبة أن ينهي العربي رحلته الصحفية سنة 1944 من حيث بدأ بجريدة الزهرة بتونس.

وكتب الطالب عبد الله شريط الذي كان يمضي قصائده باسم (ابن الفكون) بعنوان "دعاء الروح" (شريط ع.، 1944) ضمت ثلاثة وثلاثين بيتا شعريا، وكتب الطالب الزيتوني أبو بكر مصطفى رحمون قصيده بعنوان "على هامش المولد" (رحمون، 1940) نشرته جريدة الصريح، وكان الطالب الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم يشارك بالكتابة في جريدة (المغرب العربي)، التي اهتمت كثيرا بأخبار حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، والتي كان رئيس تحريرها محمد السعيد الزاهري، كما كان يساهم أحيانا بكتاباته في مجلة (المنار) التي كان يرأسها بوزوزو محمود، وجريدة (لسان العرب) التونسية بين سنتي 1947- 1949 وهو لا يزال طالبا بالجامع (الصديق، 2008، صفحة 135).

من أهم المواضيع التي كتب عنها الطلبة الجزائريون بصفة عامة والطلبة الزيتونيون بصفة خاصة في أواخر الأربعينات هو دستور 1947، الذي أحدثه البرلمان الفرنسي (André 1962, p. 149) , يوم 20 سبتمبر 1947، وصادق عليه في اليوم ذاته، والذي لم يلق تجاوبا لا من طرف الكولون ذاتهم، ولا من الجانب الجزائري (Ageron, 1979, p. 611).

فقد عبرت حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالرفض القاطع بدليل أنّ البرلمان الفرنسي ليس من حقه وضع دستورا للجزائر (الزهرة، 1948، صفحة 1)، معتبرين أن ذلك من حق المجلس الوطني، وخرج ممثلو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من قاعة التصويت احتجاجا على استبعاد مناقشة البرلمان لمشروع الحزب، والمتمثل في جمهورية

جزائرية ذات حكم ذاتي، مشاركة في الاتحاد الفرنسي، ومرتكزة على ثنائية الجنسية للجالية الفرنسية وللجزائريين (Ageron, 1979, p. 605).

أما جمعية العلماء المسلمين فقد رأوا فيه "أنه مولود جديد غير مستعد للخير" (الأسبوع، 1948، صفحة 6)، هذا الاستقبال السيئ لما سمي بدستور الجزائر له ما يبرره في نظر أحمد توفيق المدني، ففي نظره أن معظم نقاطه كانت عبارة عن تجاوز لمصلحة الجزائريين بإيجاد كل ما يخدم الأوروبيين وبنسبة كبيرة.

ونجد أن ما ميز السنوات التي تلت سنة 1947، هو كثرة الانتخابات، مما أدى إلى اهتماما أكثر من الجانبين الفرنسي والجزائري، ورغم أن النظام الانتخابي في الجزائر أوجد صورة بارزة للوجود الاستعماري بالجزائر، فبخلاف طابعه العنصري المرتكز على قاعدة الكتلتين الانتخابيتين المنفصلتين، الأولى تضم الهيئة الأولى الممثلة لمليون ناخب أوروبي وبعض المتجنسين من الأهالي، والهيئة الثانية والممثلة لما يزيد عن 9 ملايين من الأهالي، ورغم أن التمثيل النيابي للجزائريين في أغلب الأحوال هو التساوي مع الفئة الأوروبية في المجلس الجزائري، فإن الإدارة الفرنسية عمدت إلى إضافة ضمان آخر وهو صناعة الانتخابات (براهمة، صفحة 14).

وبذلك أصبح العرف الانتخابي يتلخص فيما يلي: للشعب حق الاقتراع على من يشاء والسلطات الاستعمارية حق إعطاء النتيجة كما تريد (شريط ع.، 1951، صفحة 3)، وبذلك انتزع حق الشعب بعدما كان أقدس حق، وانتزعت المسؤولية من يده في اختيار حكومته، وحل الحكم الاستبدادي محل الحرية السياسية، وأصبحت الإدارة في هذه الحالة هي الناخبة والمنتخبة معا (الجزائر، الانتخابات الجزائرية، 1951، صفحة 4).

وميز التحضير للانتخاب إيداع جو من الذعر والإرهاب في مختلف الأحياء والجهات، بشن حملة من الاعتقالات، والإعلان عن تطبيق مختلف الأحكام الزجرية التي لا تستثني حتى النواب الجزائريين (André , 1962, p. 154).

وتفننت الإدارة الاستعمارية في حيلها وحكرها، فتعددت التجاوزات يوم الانتخاب، فبعد تكوين مكاتب مراكز الاقتراع، نجد أولا عدم احترام أوقات فتح وغلق هذه المراكز، إلى جعل بعضها سرية، وغياب أوراق الانتخاب الخاصة بالمترشحين الوطنيين من هذه المراكز، إلى منع تمثيلهم من مراقبة تسيير العملية الانتخابية، أو إيقافهم أو طردهم تحت ضربات أعقاب البنادق من مراكز الاقتراع إلى الملء المسبق للصناديق بأوراق مرشحي الإدارة، أو

سرقتها من قبل العسكريين أو تعويضها بأخرى مملوءة وقت إمضاء محاضر الفرز، إلى تصويت الموتى أو الغائبين إلى تصويب رجال الإدارة بالوكالة عن عشرات الناخبين (Kaddache, 1980, pp. 796-797).

ومن المواضيع التي سخر الطلبة أقلامهم للكتابة عنها هي الوحدة الوطنية، حيث كان الاتحاد أهم مطلب للحركة الوطنية، وكان لكل حزب نظرته الخاصة به للوحدة وكيفية تحقيقها، وكانت تجربة أحباب البيان والحرية فريدة لكنها وبعد حوادث الثامن ماي 1945م كانت السبب في تأخر إعادة الوحدة للساحة السياسية الجزائرية، وما فتئت الجزائر منذ 1946م تبحث عن ميدان للكفاح يمكن به توحيد جميع القوى الجزائرية الصالحة (مزغنة، 1951، صفحة 4).

وانطلقت أصوات تطالب بالوحدة من جديد لأن اتحاد القوى الوطنية إزاء هذا الاعتداء الاستعماري أمر ضروري محتم لنجاح القضية الوطنية، وبلوغ الشعب الجزائري ما يصبو إليه من حرية واستقلال (الزهرة، 1951، صفحة 2).

كان الجزائريون واعين بأهمية الاتحاد في زمن لا يفلح فيه إلا الشعب الذي توحدت صفوفه وتآخى أبناؤه أخوة أشد من الرحم، وأقوى من أواصر القرابة، وبأنّ الطريق إليه ليس مفروشا بالورد لأنه عزيز عزة القنبلة الذرية، ومن يطلبه عليه أن يدفع ثمنه بنكران الذات واصطناع الحكمة دائما في معالجة الصلات بين العاملين لصالح البلاد، ولو كان في شيء من الذل وقبول لصالح الاتحاد الجليل والواجب المقدس لأن فيه تضحية وصبرا (الأسبوع، 1951، صفحة 1).

إن أسس الاتحاد موجودة سواءً مادية أو روحية ما يندرج تحت ذلك من اقتصاد وعقيدة ولغة...الخ، وما يجمع الجزائريين أكثر مما يفرقهم وما يبعدهم عن فرنسا أكثر مما يقربهم وبالتالي فرض التساؤل عن مبررات الشقاق نفسه على الجزائريين (الجزائر، وأطل الصباح من وراء القرون، 1951، صفحة 22).

دائما وفي مثل هذه الحالات يكون الاستعمار هو المتهم الأول، فإن لم يظهر لهم سافرا أشاروا له من خلال أذنابه، فمثلا سعي الولاية العامة إسقاط الحصانة البرلمانية عن نائب حركة (إ.ح.د.) في البرلمان الفرنسي السيد خيضر محمد بخلاف اتهامه بضلوعه في السطو على البريد المركزي بوهران عام 1949م، بل مؤامرة لمنع اتحاد الأحزاب السياسية والفعاليات الجزائرية مع حركة (إ.ح.د.)، فتنفر بذلك من الاتحاد مع هذه الحركة التي هي

من الشعب وإلى الشعب أو تخاف من المستعمرين أن يفعلوا بها فعلهم بأعضاء هذه الحركة (الساسي، 1951، صفحة 11).

إلا أن الدعوة إلى الاتحاد تواصلت رغم هذه المناورات الاستعمارية، بل ربما كانت حافزا إلى الوعي بأهمية الاتحاد، وبالتالي العمل على تحقيقه، وكل حزب من الأحزاب الوطنية يدعي شرف ذلك سواء كانت (ح.إ.ح.د.) (الجزائر، وأطل الصباح من وراء القرون، 1951، صفحة 4) أو جمعية العلماء، وليست لنا فكرة عن رأي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أو الحزب الشيوعي لأننا لم نجد كتابات توضح رأيهما بخصوص الموضوع في الجرائد التونسية.

هو إذن صفاء الضمائر وإخلاص المبدأ وتضافر في المجهودات، وتفاني في العمل مع إعراض عن النقائص وتناسي للضغائن، وقد عرف الشعب الجزائري الذي تقلب بين الآمال والخيبات، وبين الانتصارات والاضطهادات كيف يفرض أخيرا بروحه الكفاحية ومقاومته للضغط وتضحياته اليومية هذه الوحدة التي دفع ثمنها باهظا.

وقد تحدث أحمد مزغنة مطولا عن هذا الموضوع فأكد عن نوايا حزبه الحسنة قائلاً: إن تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية يظهر بجلاء صدق السياسة التي سلكتها حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي ما فتئت منذ تأسيسها تدعو إلى الوحدة لعلمها بأنّ الاستعمار يستفيد عاجلا أم آجلا من تشتت القوى وأن الأمثلة على ذلك - مع الأسف- كثيرة خصوصا منذ سنة 1948، وقد لعبت (الجزائر الحرة) أيضا دورها في هذه الحملة الوطنية وهي تعرف جيدا ما يصيب الداعين إلى الوحدة من الحجز والتعسفات والتتبعات، وقد استأنفت كفاحها منذ صدورها من جديد بالتراب الوطني من أجل الوحدة فعبرت بالوثائق المختلفة عن إرادة الشعب الجزائري في الوحدة ودعت إليها وقد شاء الله أن تسمع نداءاتها. (مزغنة، 1951، صفحة 4).

يستمر أحمد مزغنة في حديثه عن الأعمال التي ستتبناها جبهة الدفاع عن الحرية قائلا: "إنّ ميدان العمل بالنسبة إلى هذه الجبهة محدود وأغراضها تنحصر مبدئيا في الدفاع عن الحريات الأساسية وحرية التصويت، والكفاح ضد الاضطهاد، وفي سبيل تحرير المساجين السياسيين، وقد يتراءى أنّ ميدان عملها ضيق جدا وهذا صحيح، إلا أنه يجب على الجبهة أن توسع آفاقها وتضم إلى أغراضها الهدف الذي يكافح الشعب الجزائري من أجله ألا وهو استرجاع السيادة الوطنية. ومهما يكن من أمر فإنه يجب اعتبار تأسيس هذه

الجبهة نتيجة ملموسة ذات أهمية وخطوة كبيرة نحو تجمع الشعب الجزائري في كتلة للدفاع ضد الاستعمار وأنّ هذه الخطوة ستتبعها خطوات حتى التحرير لأن التجربة علمتنا أن الذي يهم من تحقيق الوحدة هو الأعمال التي ستتبعها ولهذا فنحن نحيي هذه الجبهة كحدث في كفاحنا لأن تأسيسها يعتبر غرة بيضاء في تاريخنا وينفخ في شعبنا روحا جديدة من الاندفاع، ويفتح ثغرة واسعة في الهيكل الاستعماري. إنّ أمام الجبهة مهمات عظيمة، إنه عمل شاق، ولكنه غني بالأماني إنّ الاضطهاد يسود فيجب أن تحكمه، والمساجين يتألمون في السجون، فيجب تحريرهم، وإرادة الشعب الجزائري معرض عنها، فيجب فرض احترامها، والإسلام مداس فيجب إرجاع تسيير شؤونه بيد الشعب، ومصالي الحاج هدف للقيود الاستثنائية فيجب أن يتمكن من التجول في الجزائر، وفي الخارج. (مزغنة، 1951، صفحة 4)

وستعقد ندوة عما قريب بالجزائر يدعى إليها كثير من الهيئات والشخصيات المعروفة بتعلقها بالديمقراطية والحرية بقطع النظر عن مصادرها وميولها، وسيجتمع نواب الحركات الوطنية، وشخصيات جزائرية وديمقراطيون، وجمهوريون للبحث في مستقبل هذا الوطن، وسنشاهد لأول مرة في الجزائر مثل هذا الاجتماع الذي لا يمكن أن يكون إلا بشارة بمستقبل جديد مثمر النتائج.

إنّ تأسيس اللجان المحلية لهذه الجبهة في جميع أنحاء الوطن سيعطي للشعب الجزائري فرصة المشاركة بصفة عملية مباشرة في الكفاح التحريري، فعلى الجزائريين أن يكونوا يقظين، وأن يعتنوا بهذه اللجان التي يجب أن تكون هي القاعدة التي تتعمد عليها الجبهة في كفاحها.

وعلى الجزائريين أن يجندوا كل قواهم للاحتفاظ بهذه الوحدة الثمينة وتنميتها، وجعلها سلاحا فعالا قادرا على زعزعة الاستعمار من أركانه فنكون بهذا قد اختصرنا الطريق لتحريرنا، وحافظنا على النهج الذي ضحينا بكل شيء لكي يحيا الوطن حرا (مزغنة، 1951، صفحة 4).

وإنه نظراً للأوضاع السيئة التي كانت تعيشها الجزائر أضحى موقف الحياد في الاتحاد جريمة وذلك بالنظر إلى أنّ قوى العالم تكتلت فيه ولم يعد للضعفاء من مكان، كما أن التاريخ علمهم أن الضعفاء والمشتتين كانوا دائما وقود حروب الأقوياء ولا سبيل إلى

محو هذه الوضعية المزرية إلا بالاتحاد (الجزائر، وأطل الصباح من وراء القرون، 1951، صفحة 4).

إنّ الرؤية الاستشرافية وبعد نظر الجزائريين ترى أن الاتحاد المنشود بالنسبة لهم لا يقتصر على الجزائريين فقط، فالجزائر وحدها لا يمكن لها أن تحيا وتزهر بعد تحقيق وحدتها وهي المرحلة الأولى، إلا ضمن المغرب العربي الموحد فكريا وعمليا فتلك هي المرحلة الثانية، ثم إن المغرب العربي لا يمكن له أن يعيش وحده لما يحتاج إليه في بنائه بعد التخريب الاستعماري من المواد المادية والفكرية، فحوله العالم الإسلامي المنتشر في أصقاع الأرض فتلك هي المرحلة الثالثة.

خاتمة:

وأخيرا يمكن القول بأن الصحافة التونسية اهتمت اهتماما واسعا باستقطاب الصحفيين الجزائريين منذ مطلع القرن، فاستكتبتهم وتبنت آرائهم المناهضة وحاولت أن تبرز أخبار الجزائر من خلال مراسلاتهم ومقالاتهم المختلفة.

ورغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الصحافة التونسية تحت وطأة القوانين الزاجرة فإنها لم ترهب الاستعمار ولم تذعن لإرادة السلطة، وتحدت كل الصعوبات من اجل فتح مجالات التعبير أمام الكتاب الجزائريين الذين كانوا يعيشون الكبت والإرهاب، ويضطرون للكتابة في الصحافة المصرية، وصحف الشرق العربي، والصحف العثمانية كي يعرفوا بالقضية الجزائرية، التي تجد أن الصحافة العربية التونسية قد لعبت دورا هاما في مؤازرتها، وكانت الفرصة للجزائريين في الاستفادة من الجانب الإعلامي لفضح المؤامرة الاستعمارية، والتنديد بالأساليب الوطنية المسلطة على الشعب الجزائري، وفي مقدمة الصحف التي فتحت أبوابها للأقلام الجزائرية نجد جريدتي (التقدم) و(المشير) اللتان حفلتا بمقالات سياسية وأدبية واجتماعية بقلم الكاتبين الشهيرين عمر راسم وعمر بن قدور، وصحيفة (الاتحاد الإسلامي) التي أسسها الشيخان عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حانبيه، التي دافعت عن قضية الشعب الجزائري وإلى جانبها جريدة (الزهرة) التي تبنت بكل جرأة نشر أخباره واهتمت بالدفاع عن قضاياه ومطالبه.

ثم لم تلبث هذه المشاركة الصحفية البعيدة أن تحولت إلى علاقة وطيدة وصداقة متينة ربطت بين كتاب القطرين، فتبادلوا الزيارات تبادلهم للكتابة هنا وهناك.

وبهذه المحاولات الأولى أرست دعائم التبادل الصحفي بين القطرين، وتتابعت من مرحلة إلى أخرى ومن جيل إلى آخر، فوجدنا الجيل الذي خلف بن قدور وعمر راسم يواصل نفس السبيل، ويعمل جاهدا هو الآخر على إرساء قواعد التبادل على أسس أكثر إحكاما وتميزا، فكانت مساهمته في الكتابة بالصحافة التونسية مساهمة إيجابية تطورت من مجرد تبادل للمقالات والآراء على صفحات الجرائد إلى تلاحم سياسي وفكري واللذان شكلا خطراً جسيما على المستعمر، ووسعا من نطاق المعارضة الفكرية، وأصبغها صبغة عربية مغاربية.

على أن هذه المساهمات الأدبية والفكرية والسياسية تطورت بعد الحرب العالمية الثانية، فيما تضاعف عدد الطلاب الجزائريين المقيمين بتونس إلى جانب نمو الوعي السياسي ودخول الكفاح الجزائري ضد المستعمر الفرنسي طورا جديدا من المجابهة المباشرة.

وقد كان لهذا التضامن الفكري أثره الفعال على تصرفات السلطة الاستعمارية التي أغاظها هذا الالتفاف وهذه الوحدة، فبادرت في كثير من الأحيان إلى سن القوانين الجائرة وفرض العقوبات لوضع حدا لهذا الزحف الصحفي والحد من التبادل وإقامة العراقيل والحواجز بين البلدين بقصد منه حرية الصحافة وحدة العمل في إطاره المغاربي (الجابري، 1983، صفحة 214).

قائمة المراجع:

- أبو بكر مصطفى رحمون. (31 ديسمبر, 1940). على هامش المولد. *الصريح*.
- أحمد الجزائري مزغنة. (1951). إن الوحدة الوطنية قد تحققت. *الصباح*(156)، 4.
- أحمد توفيق المدني. (1931). *كتاب الجزائر*. الجزائر.
- أحمد توفيق المدني. (1977). *حياة كفاح* (المجلد 2). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- الأسبوع. (5 ديسمبر, 1948). ندوة صحفية مع الشيخ العربي التبسي . *الأسبوع*، 6.
- الأسبوع. (29 أكتوبر, 1951). تصريح الفضيل الورتلاني. *الأسبوع*، 1.
- الزهرة. (28 مارس, 1948). حديث صحفي مع الأستاذ أحمد مزغنة. *الزهرة*، 1.
- الزهرة. (12 ماي, 1951). لائحة من السكان الجزائريين بتونس إلى الأحزاب الجزائرية. *الزهرة*، 2.

- الموسوعة التونسية المفتوحة. (2013). *نشاط المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون*. بيت الحكمة.
- بلوزاع براهمة. (بلا تاريخ). كتابات الجزائريين في الصحافة. 13.
- خير الدين. (2000). *مذكرات* (المجلد 1). الجزائر: مؤسسة الضحى.
- سعد الله أبو القاسم. (1989). *تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)* (المجلد 5). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- سعد الله أبو القاسم. (1992). *الحركة الوطنية* (المجلد 1). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- عادل النويهض. (1980). *معجم أعلام الجزائر* (الإصدار 2). بيروت: مؤسسة النويهض الثقافية.
- عبد الله شريط. (أوت, 1951). ثقافة الشعب. *الصباح*(182)، 3.
- عبد الله شريط. (6 سبتمبر, 1944). دعاء الروح. *المباحث*.
- علال الفاسي. (1948). *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*. المغرب: دار الطباعة المغربية.
- فتى الجزائر. (1951). الانتخابات الجزائرية. *الزهرة*، 4.
- فتى الجزائر. (22 فيفري, 1951). وأطل الصباح من وراء القرون. *الصباح*، 4.
- مجموعة أساتذة لجامعة منتوري. (2002). *موسوعة الشعب الجزائري*. الجزائر: دار الهدى.
- محمد الساسي. (15 جانفي, 1951). حول قضية محمد خيضر، أهي محاولة لعرقلة الاتحاد بالجزائر. *الأسبوع*، 11.
- محمد الصالح الصديق. (2008). *أعلام من المغرب العربي* (الإصدار 2، المجلد 3). الجزائر: مطبعة الرغاية.
- محمد صالح الجابري. (1983). *النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1961)*. الجزائر: دار العربية للكتاب.
- محمد ناصر. (1980). *الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- مفدي زكريا. (1923). أحيي الظرف والأدبا. *النشرة الثانية لمؤتمر طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا، نهج الباشا، مطبعة الاتحاد*(116)، 139.

- مفدي زكريا. (6 ماي, 1925). إلى الريفيين. *لسان الشعب*.

- مفدي زكريا. (1932). نهوضا بني افريقيا من سباتكم. *النشرة الثانية لطلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا، مطبعة الاتحاد*.

- مفدي زكريا. (2003). *تاريخ الصحافة العربية في الجزائر*. (أحمد توفيق، المترجمون) الجزائر: مؤسسة مفدي زكريا.

- Ageron, C. R. (1979). *Histoire de l'Algérie contemporaine de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954* (Vol. 2). paris: PUF.
- André , N. (1962). *La naissance du nationalisme algérien : 1914- 1954.* paris: Minuit.
- Kaddache, M. (1980). *Histoire du nationalisme algérien : question nationale et politique algérienne 1919- 1951.* Alger: S.N.E.D.